رموز الطبيعة في شعر المقاومة لدى عبد العزيز المقالح

أستاذ مشارك. صادق فتحي دهكردي

الباحث. نادر محمدي

طالب دكتوراه/ قسم اللغة العربية وآدابها/ جامعة طهران/ فرديس فارابي/ إيران

The Symbols of Nature in the Poetry of Resistance by Abdelaziz Al Maqaleh

Ass.prof. Sadeq Fathi Dehkordi Researcher. Nader Mohammadi

Tehran University/ Farabi Pardise

nader.mohammadi67@gmail.com

Abstract

Symbolism is one of the most prominent artistic techniques in modern Arabic poetry. Modern Arabic poetry, especially the poetry of resistance is full of symbols This is due to various reasons. We can refer to political repression, embodiment and deepening of meanings and axioms And Participation of the recipient in the thought of the poet and his feelings. The use of symbols in the literature of resistance in the Arab world has increased After the Arab occupation of the West And the flourishing of the literature of resistance and the knowledge of Arab poets and writers on the symbolic school. This article deals with the study of natural symbols in the poetry of resistance to contemporary poet Abdelaziz Al Maqaleh. The poet speaks in his most famous poems about the homeland, resistance and revolution before the occupiers and the oppressors Even access to freedom and dignity. He employs natural elements as a symbol of what he wants to express, covering the meanings and emotions of the symbols of nature and conveying them to the recipient. He seeks his resistant poetry around the resistance, such as occupation, oppression, injustice, revolution, freedom, rights, martyrs and displaced persons. And symbolizes the storm, the rats, the crocodile and the living to anger And the wolf and the mouse and the fox and the dog to injustice. Spring, sun, moon, water, green, morning, palm and light to freedom The earthquake, the fire, and the red color symbolize the revolution. In black to falsehood, white to right, sparrow and dove to martyrs and homeless. The poet gives these elements new meaning and connotations other than their lexicon. This saves him from the danger of imprisonment, murder and abuse. The recipient also participates in what the poet thinks and feels about the country and its pains. This research was based on an analytical descriptive approach. It analyzes the symbols' symbols according to the Arab Islamic culture and the characteristics of the natural elements.

Key words: alMaqaleh, symbolism, nature, resistance, modern poetry.

الملخّص

إنّ الرمزيّة من أبرز التقنيات الفنيّة في الشعر العربي الحديث، وهذا يرجع إلى أسباب مختلفة ومنها الكبت السياسي وتجسيد المعاني والأحاسيس وتعميقها ومشاركة المتلقّي في فكر الشاعر ومشاعره. كثر استخدام الرموز في أدب المقاومة في العالم العربي بعد احتلال البلدان العربية على يد الغرب وازدهار أدب المقاومة وتعرّف الشعراء والكتّاب العرب على المدرسة الرمزيّة. يتطرّق هذا المقال إلى دراسة الرموز الطبيعيّة في شعر المقاومة للشاعر اليمني المعاصر عبد العزيز المقالح. يتحدّث الشاعر في أكثر أشعاره عن الوطن والمقاومة والثورة في وجه المحتلّين والظالمين حتّى الوصول إلى الحريّة والكرامة. فيوظّف العناصر الطبيعيّة رموزا لما يريد تعبيره فيغطّي المعاني والعواطف في ستار من رموز الطبيعة وينقلها إلى المتلّقي، فهو ينشد شعره المقاوم حول مضامين المقاومة كالاحتلال والغصب، والظلم والثورة والحريّة والحقّ والشهداء والمشرّدين، ويرمز بالعاصفة والتمساح والحيّة إلى الغصب، وبالذئب والفأر والثعلب والكلب إلى الظلم، وبالربيع والشمس والقمر والماء واللون الأخضر والصباح والنخل والنور إلى الحريّة ويرمز الزلزال والبُركان والنار واللون الأحمر إلى الثورة باللون الأسود إلى الباطل وباللون الأبيض إلى الحقّ وبالعصفورة والحمامة إلى الشهداء والمشرّدين. يعطي الشاعر لهذه العناصر معاني ودلالات جديدة غير دلالاتها المعجميّة فهذا يصونه من خطر السجن والاغتيال والأذى وأيضا يشارك

المتلقّي في ما يفكر الشاعر ويحسّه حول الوطن وآلامه. اعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي ويحلّل دلالات الرموز وفقا للثقافة العربيّة الإسلامية وسمات العناصر الطبيعية.

الكلمات الرئيسة: المقاومة، الشعر العربي الحديث، المقالح، الرمزية، الطبيعة.

مقدمة

«إنّ المدرسة الرمزية العربية مذهب أدبي نشأ في الشعر العربي الحديث وتوضّحت معالمه في النصف الثاني من القرن العشرين؛ عبّر عن تجارب إنسانية ومعاناة قومية أو وطنية أو اجتماعية أو نفسية.. وفتح آفاقا جديدة في الأدب الإنساني». (نشاوي، 1984م: 469) فبعدما احتلّت الدول الغربية البلدان العربية وارتكب بعض الحكام العرب الظلم والفساد بحقّ شعوبهم، قام الشعراء العرب بالدفاع عن وطنهم وحقوق شعبهم فتولّد أدب جديد في الأدب العربي، الأدب الذي عرف بأدب المقاومة، فهو أدب يقاوم الظلم والفساد والاحتلال. إن هذا المقال يتطرّق إلى تحليل رموز الطبيعة في شعر المقاومة للشاعر اليمني المعاصر عبد العزيز المقالح، فأنشد قصائد كثيرة حول الوطن والاحتلال وما يتعلّق بهما من الظلم والثورة والحريّة، لأنّه شاعر ملتزم وليس غافلا عمّا يجري في وطنه، والشاعر بسبب وجود الكبت السياسي في وطنه ولتجسيد المعنى والإحساسات، استخدم تقنية الرمز في قصائده التي يتكلّم فيها عن المقاومة. هو كشاعر معاصر لا يتكلم عن الطبيعة ولا يصفها بل يستخدم عناصر الطبيعة رموزا وأدوات تعبير لما يجول في خياله من الأفكار، حيث تعطي هذه الرموز شعره دينامية وحيويّة، وتجسّد أفكاره وأحاسيسه أمام عيون المتلقّي ولكلّ عنصر دلالة خاصة وفقا لخصائصه. يتحدّث المقالح عن أكثر مضامين المقاومة كالحقّ والباطل والحريّة والثورة والظلم والاحتلال ويصوّر ما يفعله العدوّ من الجنايات والقتال ويدعو شعبه إلى الكفاح والثورة.

أسئلة البحث

أ) ما هي أهمّ أسباب توظيف رمز الطبيعة في شعر المقاومة لدى عبد العزيز المقالح؟

ب) ما هي دلالة الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى الشاعر؟

فرضيات البحث

أ) إن الكبت السياسي وتجسيد المعاني والإحساسات وتبيينها، هي من أهمّ أسباب توظيف الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى عبد العزيز المقالح.

ب) إن أكثر رموز الطبيعة في شعر المقاومة لدى الشاعر يدلّ على الغصب والاحتلال والظلم من جهة وعلى الثورة والحريّة والمقاومة من جهة أخرى.

خلفيّة البحث

بما أنّ المقالح من كبار الشعراء المعاصرين ومن أشهر شعراء المقاومة في العالم العربي، يوجد حول شعره وحياته دراسات وبحوثات كثيرة ونحن هنا نشير إلى بعض هذا الداراسات ولكن ليس هناك بحث عن رموز الطبيعة في شعره المقاوم. المقالة «وقفة مع الأديب اليمني عبد العزيز المقالح وتحليل شعره» للباحثين: مهدي ممتحن وسيد جواد حسيني في فصلية دراسات الأدب المعاصر السنة الثالثة والعدد الحادي عشر، المقالة «التكرار وأنماطه في شعر عبد العزيز المقالح» للباحث: صلاح مهدي الزبيدي في مجلة ديالي العدد السابع والستون، والمقالة «أسلوبية قصيدة أيّوب المعاصر من عبد العزيز المقالح» للباحثين: علي نجفي أيوكي ونسرين جعفري في المؤتمر الدولية الأدبية والدراسات التطبيقية» السنة 1394ش، والمقالة «تحليل دلالة الأساطير اليونانية في شعر عبد العزيز المقالح» للباحثين: رسول دهقان ضاد وآزاده ميرزايى تبار في المجلة «الأدب العربي» السنة الخامسة والعدد الثاني، 1392ش، والمقالة «المقالح تجربة عربية إبداعية نادرة» للباحث أحمد مقبل محمد المنصوري من جامعة صنعاء، كلية اللغات، والمقالة «توظيف التراث في شعر عبد العزيز المقالح» للباحث: عادل بوديار في مجلة إشكالات بالجزائر العدد 11، 2017م.

عبد العزيز المقالح

هو من أشهر الشعراء والأدباء اليمنيين والعالم العربي المعاصر، له دواوين وكتب علمية وأدبية عديدة وقد اشترك في تجديد الشعر العربي ودعا إلى تجدّد المفاهيم والأوزان. «ولد الشاعر عام 1937م في محافظة أب قرية المقالح منطقة الشعر في أسرة فلاحية تمارس مهنة المشيخ عرفا وتقليدا. حفظ المقالح كثيرا من سور القرآن الكريم والحديث الشريف ومسائل في علوم الفقه والعبادات وأصول النحو العربي وعددا غير قليل من أناشيد وبعض المحفوظات. شارك في ثورة 26 سبتمبر سنة 1962م في اليمن من أجل تغيير نظام الحكم ونجحت الثورة التي كانت قد غيّرت مجرى تاريخ اليمن» (ممتحن وحسيني، 1390ش: 2-3) يتطرّق المقالح في شعره إلى مصائب شعبه ووطنه ومشاكله السياسية والاجتماعية كما يجتهد في ساحة الكفاح على الباطل فنرى أنّه شاعر ملتزم ويجعل شعره سلاحا لدفاع عن الحقّ. «هو فاتح كبير في الشعر الجديد بنوعيه: الحرّ والعمودي وهو شديد الإلحاح على الجديد كثير الاعتداد به والدعوة إليه والوقوف إلى جانبه كقضيّة» (البردوني، 1978م: 206) هو من أكبر شعراء المقاومة في الأدب العربي، يكون شعره في خدمة قضيّة الوطن وآلام الشعب. يتكلّم في شعره عن الظلم والظالمين والغصب والغاصبين والمحتلّين ويدعو الناس إلى الثورة عليهم حتي الوصول إلى الحريّة والكرامة.

توظيف الرموز الطبيعية في شعر المقاومة لدى الشاعر عبد العزيز المقالح

بعدما يحتل المستعمرون والدول الكبيرة البلدان الضعيفة، يرتكبون أنواع الجرائم والظلم في هذه البلدان من القمع وكبت الأفواه والقتل والحبس والنهب والسرقة. لكن العلماء والطلّاب والشعراء والكتّاب لا يسكتون أمامهم ويدعون الناس إلى الوعي والتضحية والثورة حتّى يصلوا إلى الحريّة والكرامة، فهنا نأتي ببعض هذه الرموز ونحلّل دلالاتها لدى الشاعر عبد العزيز المقالح:

الف) الرموز التي تدلّ على الحريّة

القمر:

للقمر في الثقافة العربية مكانة مرموقة كما له جمال كثير ونعلم بأنّه ينوّر الطبيعة في الليل ويساعد الإنسان والحيوان للسير. «كان القمر إله عرب الجنوب والشمال، فقد عبدته حميَر واتخذته كلب بدومة الجندل وبنوعبد ودّ بني عامر» (عجينة، 1994م: 195) ونشاهد في أدب المقاومة بأنّ القمر قد صار رمزا للمفاهيم الإيجابية والجميلة، فالشاعر عبد العزيز المقالح يرمز به للحريّة ويقول في قصيدة «مقتطفات من خطاب نوح بعد الطوفان»:

«قُلتُ لَكُم والمَدُّ لَم يَزَل بَعيداً/ والبَحرُ لَم يَزَل بَعيداً /أن تَفتَحُوا عُيُونَكُم عَلَى الخَطَر /أَن تَجمَعُوا السّادَةَ والعَبيدا/ أَن تَصنَعُوا مِن شَوقِكُم، مِن حُبِّكُم نَشيدا/ لِتَصعَدُوا بِهِ إلى القَمَر». (المقالح، 1986م: 36)

قد ابعد العدوّ قمر الحرية وأخفاه فيجب على الشعب أن يجتمعوا كلّهم ويملؤوا قلوبهم من حبّ الحريّة حتّى يصلوا إليها ويستيقضوا من نوم الغفلة ويشاهدوا خطر الظلم والاحتلال. قد خيّم ليل الظلم في الوطن وغاب قمر الحريّة فصار العيش صعبا وصارت الطبيعة مخيفة وفي هذه الظروف ليس الصمت جائزا، فهم لايكتسبون الحريّة إلّا الوعي والابتعاد عن نوم الغفلة والاتحاد، لأنّ الشعب الغافل والجاهل والشعب الذي يوجد بينهم الانشقاق والخلاف فليس لهم قدرة ولايصلون إلى ما يريدون.

الماء:

إنّ الماء هو أساس وجود الحياة ومبدأه على كوكب الأرض، وكلّ الموجودات الحيّة محتاجة إليه ولا يستطيع الإنسان والحيوان والنبات أن يحيى دونه، ويقول الرحمن تعالى في القرآن الكريم: ﴿وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ (الأنبياء، 30) فنشاهد في هذه الآية، أهميّة وجود الماء ولذلك يهتمّ الشعراء بالماء ويجعلونه رمزا للمفاهيم الإيجابية والشاعر عبد العزيز المقالح يرمز به للحريّة والأمن والسعادة ويقول في قصيدة «وجه صنعاء بين الحلم والكابوس»:

«عَلَّ صَنعاءُ تَخرُجُ مِن رَحِمِ الليلِ/ تَخرُجُ مِن رَحِمِ الكهف/تَخرُجُ مِن رَحِمِ الحُزن/ تَمنَحُ أبناءَها الواقِفينَ عَلَى الباب/ والمُبعَدين قَليلاً مِنَ الماء/ بي ظَمَأٌ أقطَعُ السَّنَواتِ العِجاف بِلا ماء..» (المقالح، 1986م: 584-585)

يرمز الشاعر بالليل إلى الظلم والاحتلال وبالماء إلى الحرية والسعادة ويشاهد وطنه وشعبه غارقين في ظلمات الليل وفي الحزن والألم، هم بعيدون عن ماء الحرية والسعادة والنعم، فيشير المقالح بأنّ وجود الحريّة كوجود الماء واجب ولازم وليست الحياة دونه ممكنة. كما عند القدماء «ما كان الحلول بمكان أو الانتقال منه إلى آخر إلّا بسبب الماء أو في سبيل الماء، وعديد النزاعات والحروب كانت تنشب بسبب بئر أو عين ماء» (عجينة، 1994م: 261) فيجب للشعب اليمني أن يعلم بأنّه لا يقدر أن يعيش دون الحريّة فيثور على الظالمين والمحتلّين ويكتسبها ويكتسب الكرامة.

اللون الأخضر:

إنّ اللون الأخضر من أكثر الألوان استخداما رمزيا في أدب المقاومة و«الأخضر مِن الألوان المحبوبة ذات الإيحاءات المبهجة كاللون الأبيض، يبد أنّه استمدّ معانيه المحبوبة من ارتباطه بأشياء مبهجة في الطبيعة كالنباتات وبعض الأحجار الكريمة كالزمرّد والزبرجد ثمّ جاءت المعتقدات الدينية لتعمّق من هذه الإيحاءات حين استخدمت اللون الأخضر في الخصب والرزق» (المرازقة، 2010م: 26) يقول الرحمن تعالى في سورة الكهف آية 31: ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا﴾. لذلك جاء هذا اللون في الأدب رمزاً للمفاهيم الايجابيّة كالسعادة والحريّة والتجدّد وهو «لون الأمل، القوّة، طول العمر، هو لون الخلود الذي ترمز إليه كونياً الغصون الصغيرة الخضراء» (عبيد، 2013م: 93). إنّ هذا اللون في شعر المقاومة لدى المقالح يدلّ على لحريّة وهو يقول في قصيدة «تنهيدية يمانيّة على جسر النهر الجافّ»:

«كلُّ عَصافيرِ مَدينتِنا نَفَقَت في الرَّمل/ فُرسانُ الشَّمسِ القادِمَةُ يَمُوتون/ فَمَتَى تَخضَرُّ الشَّمسُ؟/ ويَحبَلُ غَيمٌ بِالأمطارِ؟» (المقالح، 1986م: 570)

يرمز الشاعر بالعصافير إلى الأطفال والمظلومين وبالخضرة والمطر إلى الحريّة والسعادة، فوطنه يحتاج إلى مطر الحريّة حتّى تخلص من جفاف الظلم والاحتلال ويخضرّ بماء السعادة، فالمقالح بهذه الكلمات يعني العصافير والرمل والشمس والخضرة والغيم والأمطار، خلق مجموعة من المعاني وصوّر ظروف وطنه لنا والمتلقّي بهذه الرموز يشارك في إحساس الشاعر ويفهم ما يجول في خياله.

الشمس:

يكون للشمس مكانة عالية عند الناس لأنّها تنفعهم كثيرا. تتعلق حياة الإنسان والحيوان بالشمس حيث نرى أنّ بعض الأقوام جعلوا الشمس في مقام الإله. «عبادة الشمس من العبادات القديمة المتطورة إذا ما قيست بالعبادات البدائيّة الأخرى التي كان يؤديها الإنسان للأحجار والنباتات وغيرها من الطواطم المعروفة. فهي أول الأجرام السماوية التي كان لتأثيرها المادي على الإنسان والحيوان والنبات أثر في لفت أنظار البشر إليها. فعبدوها وبنوا لها المعابد. (بلاوي ومهتدي، 1436ق: 20) كما جاء في القرآن الكريم ﴿وَ مِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ (فصلت، 37) والشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بهذا اللون للحريّة ويقول في قصيدة «من سفر الموت والحياة»:

«دَعُونِي لِهَمِّي/ دَعُونِي لِوَهمِي/ دَعُونِي أُفَتِّشُ في غابَةِ الليلِ عَن واحَةِ الشَّمسِ» (المقالح، 1986م: 477)

إنّ الليل هنا رمز الظلم والاحتلال، والشمس رمز الحريّة، لأنّ الوطن في ظلمة الليل والشاعر يفتّش عن الشمس حتّى يستفيد من نوره وحرارته، والحرية كالشمس لازمة للحياة ونحن نفهم من هذه الرمزية بأنّ الحريّة يجيء بعد الظلم كما يجيء الشمس بعد نهاية الليل.

الربيع:

عندما نفكر في الطبيعة نرى أنه لكل فصل من الفصول الأربعة يعني الرّبيع والصيف والخريف والشّتاء خصائص خاصّة. بينما نرى أن الربيع هو محبوب عند أكثر الناس لأنّه أحسن من الفصول الأخرى جوّاً وطبيعة وجمالاً، في الربيع تخضرّ الطبيعة بعد الشتاء

القارس والبرودة الشديدة وتملأ الأرض بالبهجة والسرور، فيخرج الناس من بيوتهم إلى أحضان الطبيعة وينظرون إلى المناظر الجميلة ويأكلون الفواكهة اللذيذة ويتمتعون بالجوّ الرائع، ولهذا تحتفل أكثر شعوب الأرض بإشراقة الربيع والربيع لهذه الأسباب قد صار رمزا لتجدّد الحياة والحريّة في الأدب، والشعراء الرمزيون يجعلون الربيع رمزا للحريّة وتجدد الحياة بعد الظلم والفساد والكبت، كما أنّ الشتاء هو رمز للظلم والكبت، فالشاعر عبد العزيز المقالح جعله رمزا للحريّة ونشاهده يقول في قصيدة «في الصَّيفِ ضَيَّعنا الوَطَن»:

«صَلاتي الدُمُوع/ وخُبزي وفاكهَتي والشَّرابُ الدُمُوع/ وكلُّ النَّهاراتِ مُظلِمَة، كلُّ يَومٍ مَساء/ تَذَكرتُ عَينَيكَ، دَفأهُما في لَيالي الصَّقيع/ ذَكرتُ نَهارَ الرَّبيع» (المقالح، 1986م: 449)

وكذلك في قصيدة «الفاتحة»:

«إن أجدَبَت سُحُبُ الخَريف/ وفاتَ في الصَّيفِ القِطار/ سُحُبُ الرَّبيعِ رَبيعُنا، حُبلَى بِأمطارٍ كثار» (نفسه: 280)

يرمز الشاعر بالربيع وكلّ جماله للحريّة ويريد أن ينتفع شعبه من الحريّة ومنافعها كما ينتفع من الربيع، ويخرج من صعوبات الظلم الذي ملأ من الهمّ والحزن والصعوبة كما يُغرق الشتاء الطبيعة في الثلج والبرودة ويجعل العيش صعبا وهذا الرمز يجسّد الحرية وجمالها ونفعها أمام عيون المتلقّي.

النور:

إنّ النور والضياء محبوب عند جميع الناس وكل الثقافات لأنّه يساعد الإنسان على أن يميّز الصواب من الخطأ والحسن من القبح، ولهذا جاء النور في النصوص الأدبيّة والدينيّة رمزا للخير والعطاء والسعادة والحريّة، فمثلا نشاهد في القرآن الكريم الذي يقول: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُماتِ إِلَي النُّورِ﴾ (البقرة، 257) ونرى في الأدب أنّ كل كلمة ترتبط بالنّور والضياء، تدلّ في أكثر الأحيان على الخير ولها معنى إيجابيّة، فبين الشمس والصباح والنهار والنجم والقمر والفجر والسّحر وبين الخير صلة في النصوص الأدبيّة. فالشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بالنور للحريّة ويقول في قصيدة «أغنية قديمة للحبّ والحريّة»:

وَ بَيتُنا القابِعُ خَلفَ الدُّجَى سَيَضحَكُ النُّورُ بِهِ والنَّغَم (المقالح، 1986م: 432)

إنّ البيت هنا رمز الوطن والدجى رمز الظلم والنور رمز الحريّة، فالشاعر قد خلق بهذه الرموز تصويرا من وطنه الذي وقع في مخالب الظالمين ولكن الشاعر يعتقد بمجيء الحريّة ويعلم بأنّ نور الحريّة والسعادة سينتشر في وطنه ويخرجه من الظلمات، ويشير بالكلمة «يضحك » بأنّ الفرح والسعادة والأمن واللذّة ليست ممكنة إلّا بالحريّة.

ب) الرموز التي تدلّ على الشهداء والمشرّدين

يستخدم الشاعر المقالح بعض العناصر الطبيعيّة رمزا على الشهداء والمشرّدين ولهذا ينتخب العناصر المحبوبة والجميلة والضعيفة كما أنّ الشهداء محبوبون والأطفال والنساء المشرّدات ضعفاء فنشير إلى بعض من هذه الرموز:

العصفور

إنّ العصفور من الطيور الصغيرة والضعيفة كالحمامة بل أضعف منها وهذا الطائر لا يقتل الحيوان والطيور والإنسان بل يأكل البذور، يُستخدم العصفور كثيرا في أدب المقاومة استخداما رمزيا ويدلّ على كلّ ما هو جميل ومحبوب كالحريّة والثورة والشهداء والمشرّدين. يرمز المقالح بالعصفور للشهداء والمشرّدين ويقول في قصيدة «الشمس تسقط في المغرب»:

«عُصفورَةٌ مَذعورةٌ فَرَّت/ تَحَدَّت الأسوار/ تَحمِلُ في المِنقار/ حِكايَةَ الشَّمسِ التّي هَوَت» (المقالح، 1986م: 251)

وفي قصيدة «تقاسيم على قيثارة مالك بن الريب»:

«مِن بَعيدٍ يَدوِي الرَّصاصُ المُغامِر/ كلُّ الشَّبابيك مُقفِلَة/ عُيُونُ المَساءِ بِلا لَون/ مُثقلة بالجراح النجوم/ تَعُودُ العَصافيرُ مَغسُولةً بِدِماء النّخل» (نفس المصدر: 630)

وفي قصيدة «الظلام يسقط على سنتياغو»:

«إعذِريني مياهُ المُحيط إذا كنتُ لَم أستَجِب لِلنِّداء الذّي/ أطلَقَتهُ العَصافيرُ ساعةً دَوِيَ الرَّصاصُ المُغامِرُ/ واِختَلَطَ الدَّمُ بالدَّم/ ساعةً أن سَقَطَ الليلُ فَوقَ النّهار» (نفس المصدر: 595)

إنّ الشاعر في هاتين القصيدتين يرمز بالشمس والنهار والنجوم للحريّة ويرمز بالنخل للوطن المحتلّ المضطهد المظلوم. فالوطن بيد الغاصبين والظلمة والناس مغسولون بدمائهم والعدوّ قد نشر الرعب والوحشة في الوطن ولذلك فرّ الشعب منه وتركوه.

وكذلك في قصيدة «الشاعر» يقول»:

«أطعَمتُ لَحمي لِلعَصافيرِ الصَّغيرةِ حينَ أجدَبَتِ الحُقُول/ ومَشَيتُ بَينَ النّاسِ عُريانَ العِظام» (نفس المصدر: 396)

فهو يرمز بالحقول إلى الوطن وبالعصافير للشعب المظلومين والمشرّدين وعندما يشاهدهم في الفقر والجوع يعطيهم ما عنده ويعطيهم جسمه ولحمه، ويفدّي نفسه من أجل سعادة شعبه ووطنه.

الحمامة:

إنّ الحمامة من أكثر العناصر الطبيعيّة استخداما رمزيا في أدب المقاومة. هي طائر جميل لا تؤذي الإنسان والحيوان ولا يقتلها كالأسد والنمر والذئب بل يؤذيها الإنسان والحيوانات الأخرى ولذلك يجعلها الشعراء رمزا للمفاهيم الإيجابية، «الحديث عن الحمامة وأشواقها وهمومها هو حديث الشاعر عن نفسه وعن حبّه وأشواقه ويلاحظ ذلك من خلال المقارنة بين وجدان الشاعر الصاخب وحال الحمامة وهي تئنّ تحت وطأة الفقد والحرمان من فرخها الذي افترسه الصقر وكأن إحساسها العميق بالشجن الذي ولّده الفقد هو كإحساس الشاعر الذي فقد الحبيبة» (بلاوي ومهتدي، 1436ق: 17) أو الحريّة أو الصديق أو الشاعر الذي يشاهد الظلم والكبت والقتل والاحتلال في وطنه. «هذا الطير الجميل رمز الطهارة والوفاء» (عجينة، 1994م، ج1: 301) فالشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بالحمامة للشهداء والمجاهدين والمشرّدين ويقول في قصيدة «الظلام يسقط على سنتياغو»:

«الدِّماءُ تَسيلُ/ الشَّوارِعُ تَجرِي بِلا هَدَفٍ/ تَتَعَرَّى الحَمامَةُ مِن ريشِها/ تَتَحَوَّلُ صَقراً بِمِنقارِهِ يَثقُبُ الحائطَ.. الليلَ/ يَرحَلُ في جَسَدِ الشَّمسِ/ يَغمِسُ في لَونِها ريشَهُ/ فَتَعُودُ الحَمامَةُ/ حامِلَةً رايَةَ الوَطَنِ الرّاكعَه/ يَسقُطُ الليلُ/ تَنتَفِضُ الجُثَّةُ الوادِعَةُ» (المقالح، 1986م: 598-599)

إنّ الوطن غارق في ليل الظلم والاحتلال وغارق في دماء الشهداء والمظلومين، فنفهم من هذه الرموز يعني الليل والحمامة والشمس ما يجري في وطن الشاعر ونشترك في إحساسه ورمز الحمامة يبيّن طهارة الشهداء والمشرّدين ووفائهم في سبيل الوطن والحقّ.

ج) الرموز التي تدلّ على الظلم والظالمين

إن المقالح يستخدم العناصر الطبيعية القبيحة والمخيفة رموزا للظلم والكبت والاحتلال، فنأتي ببعض من هذه الرموز ونحلّل دلالاتها.

الليل:

لا يقدر الإنسان في الليل أن يستمرّ عيشه بسهولة النهار، ويصير العيش ودفع الخطر والإنقاذ من الموت والحيوانات الوحشيّة صعبا بسبب عدم وجود الضياء والنور فالليل يستخدم كثيرا في الأدب. بحيث نشاهد عند القدماء أنّ الشعراء يصفونه في آثارهم ويتكلّمون عن ميزاتها ويحزنون منه بسبب الابتعاد عن المعشوق، وينتظرون قدومه مع بزوغ الشمس. ولكن فى الأدب المعاصر والمقاوم يوظّف في دلالات جديدة غير معجمية فهو يدلّ على المصائب والمشاكل والمسائل السلبيّة كالظلم والاحتلال والغصب والفقر والجهل. يرمز المقالح بالليل للظلم والكبت أو الاحتلال ويقول في قصيدة «إلى الفنار الوحيد»:

«و كالأرض باق/ وكالفجر باق/ تَسَمّرتَ في وَجهِ لَيلِ المغولِ الطويلِ» (نفسه: 460-461)

وفي قصيدة «عودة الوجه الغائب»:

كلَّما أطبَقَ لَيلٌ عابِثٌ بِسَمانا وكأَن لا يَنجَلي
سَحَقَتهُ، سَحَقَت أحلامَهُ مَوجَةٌ مِن دَمِك المشتَعِلِ

(نفسه: 475-476)

وأيضا في قصيدة «الطفل والمغنّي الغريب»:

«مَن يُعيدُ البَراءَةَ للقَمَرِ الطِّفلِ؟/ مَن يَرجِعُ السُّحُبَ الممطِراتِ إلى الرَّمل؟/ مَن يَحمِلُ السَّيفَ في وَجهِ لَيلِ الصَّحارِي؟/وَ يَغسِلُ وَحلَ التَّسَوِّلِ عَن وَجهِ مهرتنا؟/أيُّها الليلُ قِف.../ أيُّها الليلُ قِف». (المقالح، 1986م: 614)

يرمز الشاعر في هذه القصائد بالليل للظلم والكبت والاحتلال ويرمز بالفجر والقمر للحريّة وبهذه التقنية يبيّن آلام وطنه ويجسّد لنا ما يقع فيه من المصائب والمشاكل. والظلم كالليل قد غطّى وطن الشاعر ولكنّه سيذهب وسيأتي فجر الحرية، فالشاعر بهذه الرمزية ينبت بذرة الأمل في قلوب المجاهدين والمظلومين.

الشبح:

«الشبح أو الطيف هو كائن وهمي من نسيج خيال الإنسان عبر التاريخ، وفي الغالب يكون على شكل طيف إنسان، وقد تعتبر الاشكال غير المألوفة أشباح أحيانا، وتعني كلمة شبح لغويا الرؤية غير الواضحة لجسم ما على شكل حيوان أو إنسان، ويقصد بها بعض الأحيان عالم الجن أو الملائكة المذكورة في الكتب السماوية، وتختلف رؤيا الأشباح فمنهم من يقسمها إلى أرواح خيرة ويقصد بها الملائكة ومنهم من يصنفهم على أنها أرواح خبيثة ويقصد بها الشياطين، والكائنات الخرافية في عالم القصص تاخذ معاني متشعبة كثيرة» (الموسوعة ويكيبيديا) قد يستخدم شعراء المقاومة الشبح في شعرهم رمزا للظلم والاحتلال والكبت والجهل والمفاهيم السلبية الأخرى. يرمز المقالح به للظلم والاحتلال ويقول في قصيدة «الفاتحة»:

«مَن نَحنُ؟/ عُشّاقُ النَّهار/ نَبكي/ نُحِبُّ/ نُخاصِمُ الأشباح، نَحيا في انتِظار/ سَنَظِلُّ نَحفِرُ في الجِدار/ إمّا فَتَحنا ثَغرَةً لِلّنورِ أو مُتنا علَى وَجهِ الجِدار» (المقالح، 1986م: 279-280)

و في قصيدة «في انتِظار عودَة الشَّهيد»:

«سَوفَ تَمتَلي الطَّريقُ بِالأشباح/ سَيَأكلُ الظَّلامُ الزَّرعَ، يَمضَغُ الأرواح» (المقالح، 1986م: 274)

إنّ الشبح كالظلمة والليل ضدُّ النور، فالشاعر في هاتين القصيدتين قد جعل النهار والنور رمزين للحريّة وجعل الشبح والظلام رمزين للظلم والاحتلال وبهذا الطريق يجسّد مكافحة الحقّ والباطل في وطنه، هو يأتي بكلمة الأشباح جمعا وبهذا يشير إلى كثرة الأعداء والظالمين والمحتلّين في بلاده.

الشتاء:

إنّ الشتاء أبرد فصول السنة. تغطّى الطبيعة بالثلج والبرودة في هذا الفصل وتواجه الحياة بعضا من المشاكل والصعوبات ويغطّي الثلج والجليد صعيد الأرض. يستخدم الشعراء هذا الفصل في شعرهم استعمالا رمزيا ويعطونه دلالات جديدة غير دلالته المعجميّة وفقا لما يفعل في الطبيعة والحياة من التأثيرات. نحن نرى الشتاء في شعر المقاومة رمزا للظلم والظالمين وأعمالهم السيئة. واستخدم الشاعر المقالح هذه الظاهرة في شعره المقاوم ورمز به للظلم والكبت فنقرأ في قصيدة «شجن»:

«أبحَثُ في مَلايين الوجوهِ عَن عَينَينِ/ نَبيَّتَينِ/ عَن مَرفَإٍ آوِي إلَيهِ قَبلَ أن يَعودَ مِن رِحلَتِهِ الشِّتاءُ/ مُحَمِّلاً بِالثَّلجِ والصَّقيع/ يَمشي علَى جَنازَةِ الأضواء/ يَدوسُ وَجهَ الزَّهرِ والرَّبيع» (المقالح، 1986م: 132-133)

وقصيدة «من يدلّني؟»:

«هذا الشِّتاءُ المُرُّ بِالأحزانِ بِالأسَى يَغمُرُني
غُيُومُهُ السَّوداءُ تَستَفِزُّني بِحُزنِها عارِيَةً تُمطِرُني» (نفسه: 523)

وفي قصيدة «بكائيّة»:

«سُحُبُ الشِّتاءِ المُرّ تَهطِلُ في دَمي/ في قَلبي المَهجورِ يَمتَدُّ الضَّباب» (نفسه: 372)

في هذه القصائد، الشتاء والثلج والصقيع والغيوم السوداء والضباب رموز للظلم والكبت لأنّها ترتبط البرودة والظلمة والخوف، والزهر والربيع رمزين للحريّة والسعادة، فشتاء الظلم والكبت قد غطّى الوطن وداس حقوق الناس واملأ البلاد بالحزن والألم.

الرموز التي تدلّ على الظالمين

فبالإضافة إلى الظلم، الشاعر يرمز ببعض العناصر الطبيعية للظالمين والمحتلّين في وطنه ويستخدم الحيوانات الوحشية لهذا المقصود ويجسّد ما يجول في خياله من الخوف والكراهية للظالمين ونحن نشير إلى هذه الرموز:

الذئب:

إن للذئب في آداب الأمم وثقافاتها مكانة خاصّة وهو مشهور بالغدر والظلم والحرص والخيانة. ويقال إنّه جائع دائماً ولا يشبع أبداً ولهذا هو حريص ولا يقنع بأيّ شيء. «ممّا هو مثير حقّاً أن تلصق الذئب كلّ صفات الشرّ من غدر وخيانة، وأن تتفق المجتمعات البشريّة على هذه الصّفات». (العمّاري، 2012م: 104) جاء في الأمثال العربيّة: «أخون من الذئب» (العسكريّ، 1988م، ج1: 333)، وكذلك «أظلم من الذّئب» (نفسه، ج2: 27) والشاعر عبد العزيز المقالح يستخدم هذا الحيوان الوحشي رمزا للظالمين على شعبه ووطنه، هو يقول في قصيدة «الصوت ... والصدَى»:

«علَى سَريري كلَّ لَيلَةٍ يَضطَجِعُ الأغراب/ في جَسَدي يَرقُدُ لَيلُ الحِقد،/ تَنهَشُ الذِّئاب» (المقالح، 1986م: 193–194)

وأيضا في قصيدة «العبور»:

لا اللَيلُ في الضَّفَّةِ الأُخرى ولا النُّذُرُ ولا الدِّماءُ –كما الأنهارِ– تَنهَمِرُ

وَ لا الذِّئابُ وقَد أقعَت عَلَى حَذَرٍ وحَولَها تَزأَرُ النِّيرانُ والحُفَرُ

(المقالح، 1986م: 463)

يرمز الشاعر بالغراب والذئب للظالمين والمحتلّين ويشير بأنّهم لا يرحمون أحدا ولا يشبعون من سفك الدماء وأكل حقوق الناس وقتل الأطفال والنساء. هذه الرمزية تحفظ الشاعر من السجن والاغتيال وتسبّب إلى مشاركة المتلقّي في فكره وإحساسه.

الفأر:

إنّ الفأر حيوان صغير وضعيف ومضرّ للإنسان والنباتات، «يوصف الفأر بالنجاسة والولع والطمع والأعمال الليلية والمخفيّة» (شواليه، 1387ش، ج5: 338) قد يستخدم شعراء المقاومة هذا الحيوان رمزا للظالمين والمحتلّين الذين كالفأر ضعفاء أمام قدرة الشعب ومضرّون ولا خير ولا نفع فيهم. يقول الشاعر في قصيدة «مأرب.. والفأر.. والإنسان»:

«وَ مُنذُ هاجَرَت رِجالُهُ/ ووَدَّعَت حَزينَةً ديارَها/ في رِحلَةٍ بِلا قَرار/ ونَحنُ تائِهو الخُطَى/ يَقودُنا فَأرٌ» (المقالح، 1986م: 153)

و في قصيدة «إلى فأر»:

«أكبَرُ مِنك نَملَةٌ/ أشهَرُ مِنك ريشَةٌ علَى جِدار/ يا أمسَنا الذَّبيح/ يا فأرَنا القبيح» (نفسه: 241–242)

يشير الشاعر إلى ضعف الحاكم الظالم والمحتلّ، ويشير إلى قباحته وإضراره للوطن وطمعه في سفك الدماء والظلم والفساد، وفي الواقع هو يدعو للثورة عليه لأنّهم أقوياء وهو ضعيف ولا يقدر أن يقاوم أمامهم ويجب أن يعلموا بأنّه لايجدر بالشعب المسلم أن يحكم عليها شخص ضعيف وطامع ونجس.

الثعلب:

نعلم بأنّ الثعلب حيوان وحشي ويأكل اللحم، يعرف هذا الحيوان بالمكر والخداع، وبسبب هذه الصفات والميزات يستخدم في أدب المقاومة رمزا للظالمين والغاصبين، الذين يقومون بالأفعال الوحشية بأنواع الخدعة والمكر. ويقول الشاعر في قصيدة «وجه صنعاء بين الحلم والكابوس»:

«فَصَنعاءُ خادِمَةٌ في بَلاطِ النَجاشِي/ ومَنسِيّةٌ في سُجُونِ الرَّشِيدِ/ وضائِعةٌ في بِلاد العَبِيدِ/ بِكلِّ المَنافي تَجُوعُ/ تَكابَدُ شَطآنها والمرافِىء ظامِئةُ/ وهِي تَرقُبُ شمسَ المخاضِ بِلا وَجهٍ استَلبُوهُ/ وكانُوا يَبيعُونَهُ في المزاداتِ/ يختَصِمُ القاتِلُ–الذِّئبُ والثَّعلَبُ–اللصُّ». (نفسه: 580)

يرمز الشاعر بالثعلب للظالمين والمحتلّين في وطنه اليمن، ويبيّن وحشيتهم ومكرهم بهذه الرمزية ويشارك المتلقّي في إحساس الشاعر ويشارك في كشف المعنى.

الكلب:

للكلب أثر كبير في حياة الإنسان ويستخدم كثيرا في الأدب المعاصر رمزا. «يعرف الكلب في البلاد الإسلامية أكثر المخلوقات نجاسة وهو رمز الولع والشراهة» (شواليه، 1387ش، ج3: 611) نشاهد في شعر المقاومة لدى الشاعر عبد العزيز المقالح بأنّ الكلب يدلّ على الظالمين والمحتلّين في وطنه، هو يقول في قصيدة «أيّوب المعاصر»:

«أعادَ رَأسَهُ علَى الصَّدرِ المهَشَّمِ الجَريح/ رَمَى بِعَينَيهِ إلَى التُّراب/ وَدَّعَ في مَرارَةِ عالَمِهِ القَبيح/ أطلَقَ روحَهُ، أنقَذَها مِن دَنَسِ الكلاب» (المقالح، 1986م: 214)

وفي قصيدة «دموع على الدرب الأخضر»:

«وَ نَحنُ لا نَبكيك / لَكنَّا إلَيك نَبكي قِسوَةَ الظُّروف/ ومِحنَةَ الحُروف/ مَلعُونَةً.. صَفراء/ مَلعُونَةً.. حَمراء/ مَكتُوبَةً بِالماء فَوقَ الماء/ أبناؤها مُغتَرِبون في الضُّحى عُراه/ تَنهَشُهُم كِلابُ اللَّيلِ والعُيُونُ العور» (نفس المصدر: 409–410)

فالشاعر وفقا للعقيدة الاسلاميّة ينتخب الكلب رمزا يدلّ على النجاسة والكراهة والطمع ويرمز به للظالمين على شعبه وبهذه الرمزية صار مصونا من خطرهم ونقل فكره وإحساسه للمتلقّي وكلمة الكلب قد استطاع أن يبيّن ما يريده الشاعر تبيينا أجمل وأحسن لأنّه أكثر كلمة دلالة على النجاسة والطمع عند المسلمين.

د) الرموز التي تدلّ على الحقّ

اللون الأبيض:

إنَ شعراء المقاومة يستخدمون الألوان كثيرا في شعرهم في معنى غير معجميّة وللتعبير عن فكرهم وإحساسهم، هم يعبّرون باللونين الأبيض والأخضر عن المفاهيم الإيجابية والجملية والمحبوبة، لأنّ هذين اللونين محبوب عند الناس والمسلمين خاصّة، «اللون الأبيض يرمز للصفاء والنقاوة ولعلّ معنى الصفاء والنقاوة هو المقصود في اختيار اللون الأبيض عند المسلمين لباسا أثناء الحجّ والعمرة وكفنا للميت واستخدم القرآن الكريم بياض الوجه يوم القيامة رمزا للفوز في الآخرة نتيجة العمل الصالح في الدنيا» (عمر، 1997م: 164) ويقول ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَتِ اللَّهِ هُمْ فيها خالِدُونَ﴾ (آل عمران، 107) يتكلّم الشاعر عبد العزيز المقالح عن أمل الحريّة ويعبّر عنه باللون الأبيض ويقول في قصيدة «الرسالة الثالثة»:

«أقبَلَ التُّرابُ والأحجارُ والدِّمَن/ أقبَلَ اليَمَن/ ازرَعُ في جِبالِها زُهورَ الأمَلِ البَيضاء/ اكتُبُ في سُهولِها قصيدَةَ المحَبَّةِ الخَضراء» (المقالح، 1986م: 301)

فهذا الأمل أمل حقّ وليس باطلا ويريده الشاعر لوطنه ويحبّه فالحريّة والسعادة جمليتان كالزهور، وطاهرتان ليس فيهما ضرر لشخص، فهو يزرع أمل الحريّة في قلوب الناس ويملأ الوطن به لأنّ الشعب لا يصل إلى السعادة والكرامة إلّا بالحريّة.

ذ) الرموز التي تدلّ على الباطل

اللون الأسود:

«تستخدم اللغات ألفاظ الألوان استخدامات مجازية قد يشيع بعضها ويجري مجرى الأمثال، كما أنّها عن طريق المعاني الرمزية والإيحائية للألوان تستخدم ألفاظها في تعبيرات لغوية idioms لا يفهم معناها بمجرد فهم مفرداتها إذ تصبح تركيبا موحدا ذا معنى خاصّ». (عمر، 1997م: 69) إن اللون الأسود من أكثر الألوان استخداما رمزيا في شعر المقاومة، فشعراء المقاومة يرمزون بهذا

اللون للظلم والكبت والشقاوة والاحتلال، «يشير الأسود فيزيائيا إلى فقدان اللون، لكنّه في منظور كثير من الثقافات دالّ على ما يستكره ويتشاءم به، لهذا عبر الشعراء بهذا اللون من المعاناة وكلّ ما هو سلبيّ كالآلام والعذاب» (محمد حمدان، 2008م: 100) ورد هذا اللون في القرآن الكريم للدلالة على معنى سلبي: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكفُرُونَ﴾ (آل عمران: 106) نشاهد اللون الأسود بهذه الدلالات في المجتمع وفي اعتقادات الناس، «فقد اعتاد الناس لبس السواد عند الحزن فربطوا السّواد بالموت وشاع بينهم الخوف من الظلام وما يحمله من مجهول فربطوا الخوف من المجهول بالسواد، كما أن اللون الأسود لم يربط في الطّبيعة بأيّ شيء ذي بهجة». (عمر، 1997م: 201) وكلّ هذه الأسباب قد جعل اللون الأسود مرتبطا بالتشاؤم والشرّ عند البشر. فالشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بهذا اللون إلى الباطل والخوف والظلم ويقول في قصيدة «الشمس تسقط في المغرب»:

«في كلِّ كفٍّ أسوَد سِكين/ وكلِّ قَلبٍ أبيَض طَعين» (المقالح، 1986م: 254)

ويشير الشاعر إلى الظلم والقتل في وطنه ويرمز باللون الأسود لبطل الظالمين والمحتلّين ويرمز باللون الأبيض إلى حقّ شعبه وبراءتهم وطهارتهم. فيدلّ اللون الأسود هنا على لبطلان والخوف والظلم، وهذا اللون مع اللون الأبيض يخلقان صورة من مكافحة الحقّ والباطل في وطن الشاعر.

و) الرموز التي تدلّ على الثورة

استخدم الشاعر المقالح العناصر الطبيعية والظواهر ذات الحركة والديناميّة والقدرة والسرعة للتعبير عن الثورة فهو بهذه الرموز يشير إلى قدرة شعبه أمام الظالمين والمحتلّين ويشير إلى ضرورة الثورة ويعتقد بأنّ الثورة لأجل الحريّة والكرامة واجبة وتجب أن تكون سريعة، فنأتي ببض من هذه الرموز:

الرعد:

إنّ الرعد صوت يصدر مع لمعان البرق في السماء عند سقوط الأمطار أو قبله، وبسبب الرعد والبرق ينزل المطر ويسقي الأرض. قد يستخدم شعراء المقاومة هذه الظاهرة الطبيعيّة استخداما رمزيا في شعرهم، هم يرمزون بالمطر للحريّة ونحن نعلم بأنّ أسباب الحريّة ولوازمها هي العاصفة والرعد والبرق والغيوم، فالشعراء يجعلونها رمزا للثورة والحريّة لأنّ الثورة تلازم الحريّة، والناس لا يكتسبونها إلّا بالثورة والانتفاضة، والشاعر المقالح يقول في قصيدة «الشاعر»:

«أصبَحتُ أعشَقُ كلَّ عاصِفَةٍ/ تَنامُ بِقَلبي الظّامىء مَلايينُ الرُّعود» (المقالح، 1986م: 398)

فالشاعر عطشان للحريّة وقلبه مملوء من حبّ الثورة وهو يريد أن يقوم شعبه ويهدّم وجود الظالمين والمحتلّين كالعاصفة والرعد، ويأتي بهذه الثورة الحريّة والسعادة، ثمّ أنّ كلمة الملايين هنا يدلّ على لكثرة فالمقالح لايريد شيئا ولايتمنّي إلّا الثورة لأجل الحريّة.

اللون الأحمر:

إنّ اللون الأحمر لون كثير من الأشياء والظواهر في الطبيعة فهو يستخدم رمزا في أدب المقاومة و«قد أثبتت الدراسات النفسية بأنّ اللون الأحمر يثير روح الهجوم والغزو والافتتان والشجاعة والثأر ويخلق في الإنسان نوعا من التوتر العضلي ويرفع من حرارة الجسم» (عمر، 1997م: 154) نحن نشاهد في تحليل شعر المقاومة بأنّ هذا اللون يدلّ على لثورة والانتفاضة والإيثار والشهادة كما أنّه لون الدم ويرتبط بالشهادة، يقول المقالح في قصيدة «تنهيدية يمانيّة على جسر النهر الجافّ»:

«هَل يَجيءُ الفَجر؟/ الطّينُ –هُناك– فَتاةٌ تَحلُمُ بِمَجيءِ الفَجر/ حُبلَى.../ تَلِدُ الصّلصالَ الأحمَرَ والأخضَر/ تُرضِعُ أشجاراً ووُروداً حَمراءَ/ لَتَجيء عَصافيرُ الفَجر...» (المقالح، 1986م: 572–573)

فيرمز الشاعر بالفجر للحريّة وبالعصافير للمجاهدين والمشرّدين وأيضا يرمز باللون الأحمر للثورة والشهادة وسفك الدماء في سبيل الكرامة والحريّة.

الزلزال:

إنّ الزلزال من أعظم الظواهر الطبيعيّة ويسبّب للهدم والخوف في المجتمع، «هي هزّة أرضيّة طبيعيّة تنشأ تحت سطح الأرض، سببها تحرّر الضغط المتراكم عبر الشقوق الجيولوجيّة نتيجة لنشاط بركاني أو تزحزح في الصخور، وفعل زَلزلَ يكون بمعنى: أزعجَ وخوّفَ وحذّر» (عمر، 2008م: مادّة زلزل) يعبّر الشاعر المقالح بهذه الظاهرة عن الثورة والانتفاضة ويقول في قصيدة «عتاب»:

في ضَميري زَلازِلٌ في دِمائي ثَورَةٌ عالَميَّةُ الانتِماء (المقالح، 1986م: 422)

فنراه امتلأ قلبه من حبّ الثورة ويكون هذا الحبّ والإرادة مزيجا بجسمه ووجوده، هو محزون وغضبان من الظلم ومن الصمت أمامه فيريد أن يثور عليه ويدمّر بناء الظلم والفساد بالسرعة والقدرة وهو يشبّه قدرة شعبه لقدرة الزلزال ويقن للظفر على العدوّ.

البُركان:

«البركان هو فتحة في القشرة الأرضيّة في جبل. يكون في الغالب مخروطيّ الشكل وينتهي بفوهة تخرج منها موادّ منصهرة وغازات وأبخرة ودخان» (عمر، 2008م: مادة بركان) إذا ألقينا نظرة على البركان نظرة أدبية، نقدر أن نقول بأنّ البركان هو غضب الأرض من الظلم وإزالة كلّ ما فيها، وعدم الصمت أمام الظلم والكبت. يستخدم شعراء المقاومة البركان رمزا للثورة والانتفاضة، ويعتقدون أنّ أبناء الشعب يجب عليهم أن يثوروا ويقوموا أمام الظلم والاحتلال. يقول المقالح في قصيدة «يا ليل»:

«يا لَيلُ خَلفَ جِراحِنا وهُمومِنا يَصحو النَّهار/ تَتَمَرَّدُ الشَّمسُ الحَزينَةُ تَصنَعُ الصُّبحَ الشِّرار/ يَتَغَسَّلُ الإعصارُ والبُركانُ في الدَّمعِ المثار» (المقالح، 1986م: 88)

قد خلق الشاعر بمساعدة العناصر والظواهر الطبيعيّة صورة لمكافحة الحقّ والباطل في وطنه ويجسّد هذا المعنى فإنّ النهار والشمس والصبح رموز للحريّة والليل رمز الظلم والاحتلال وإنّ الإعصار والبركان رمز الثورة، ففي عقيدة الشاعر أنّ الظالمين والمحتلّين لا يقدرون أن يقاموا أمام قدرة الشعب كما أنّه لا يقدر أحد أن يبقى أمام البركان.

ر) الرموز التي تدلّ على الغاصبين

إنّ الغاصب والمحتلّ هو الذي يملك حقوق الآخرين ويأخذها بالإكراه والقدرة والظلم. شعراء المقاومة يتطرّقون إلى الغاصبين والمحتلّين ويصفون أعمالهم كالقتل والنهب، ويرمز الشاعر المقالح ببعض العناصر الطبيعيّة إليهم فنذكرها ونحلّل دلالاتها:

العاصفة:

إنّ العاصفة والإعصار من الرياح الشديدة والقويّة التي يصحبهما مطر غزير أو ثلج أو برد. هما تعتبران من الكوارث الطبيعيّة كالسيل والبركان حيث جاءت هاتان الظاهرتان في القرآن الكريم بدلالة سلبية: ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ (المرسلات، 2) ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة، 266) يستخدم الشعراء والأدباء المعاصرون هاتين الظاهرتين في آثارهم استخداما رمزيا وفي دلالات جديدة. والشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بالعاصفة للغاصبين الذين ينهبون أموال الشعب وثرواته ويدمّرون الوطن كالعاصفة، فيقول الشاعر في قصيدة «مواجيد مغترب»:

عَدنٌ" تُناديني وتَسأَلُني أمواجُها مَحمُومَةَ الزَّبدِ

لِمَ لاتعُودُ؟ غَسَلتُ شاطِئَها ومَسَحتُ وَجهَ اللَّيلِ والرَّمَدِ

أَكَلَت مِياهِي كُلُّ عاصِفَة سُفنُ الغريبِ سَحَقتُها بِيَدي

(المقالح، 1986م: 456-457)

إنّ الشاعر قد خلق صورة جميلة بالأمواج والزبد والشاطئ والمياه والسفن والعاصفة وصوّر مكافحة وطنه وشعبه للمحتلّين والغاصبين. والشعب اليمني يثور عليهم حتّى الوصول إلى الحريّة وإخراجهم من الوطن، كما يقاوم أمام العواصف بالأمواج، والمياه والبحر هنا رمزا الوطن، والليل والزبد رمزا الاحتلال، والعاصفة والسفن الغريب رمزا الغاصبين والمحتلّين.

التمساح:

هو حيوان قويّ ووحشي، يعيش في البرّ والبحر ويأكل اللحم، «يختفي في الماء ويهاجم الصيد فجأة ويمزّقه، هذا الحيوان يَرى دون أن يُشاهد، هو رمز شيطان خبيث وطبيعة شرور والموت والقساوة» (شواليه، 1387ش، ج4: 554-555) فالشاعر عبد العزيز المقالح يرمز بالتمساح للغاصبين ويقول في قصيدة «في انتِظار عودَة الشَّهيد»:

«سَوفَ تَمتَلي الطَّريقُ بِالأشباح/ سَيَأكلُ الظَّلامُ الزَّرعَ، يَمضَغُ الأرواح/ سَيَختَفي تِمساح/ ويَستَوي علَى ظُهورِنا تِمساح» (المقالح، 1986م: 274)

ويقول في قصيدة «في الصَّيفِ ضَيَّعنا الوَطَن»:

«تَذَكرتُ أنَّكِ حاوَلتِ أن تَعبُرَي ضِفَّةَ المستَحيل/ بِزادٍ قَليل/ وجُندٍ قَليل/ وكلُّ التَّماسيح كانَت هُناك/ تَعُدُّ القُيُودَ لِكفَّيك يا طِفلَتي» (المقالح، 1986م: 449)

إنّ الغاصبين يأكلون حقوق الناس وثروات الوطن ويحكمون الناس، هم يستفيدون من الظلم والفساد كفخّ، كما أنّ التمساح يستفيد من الماء ولايرحمون على أحد، فيجب على الشعب أن يكونوا أذكياء ويطردونهم من الوطن لأنّهم أسباب الشرّ والخباثة والموت والقساوة.

الحيّة:

إن للثعبان أو الحية أو الأفعى انعكاسا كبيرا في الثقافات المختلفة فكثيرا ما يخاف الناس من الثعبان لأنّه عدوّ قاتل للإنسان ولذلك يفرّ منه دائما ويجعله رمزا للخوف والعداوة. وأيضا يوجد في سمّ الثعبان فوائد كثيرة للإنسان حيث بأنّ علماء الطبّ يصنعون منه دواء لبعض الأمراض. يُستخدم الثعبان في الأدب المقاوم رمزا للأعداء الغاصبين، والشاعر المقالح في بعض قصائده التي يتطرّق فيها إلى الظالمين، يجعل الثعبان والأفعى رمزا لهم فيقول في قصيدة «إلى السّلاح.. أيّها المواطنون»:

«سَيَرجِعُ الفَسادُ/ اللَّيلُ، والإرهابُ، والسُّجون/ سَيَرجِعونَ/ إن لَم نَقِف علَى الأبوابِ، في الجِبالِ، في المداخِل/ نَقطَع رَأسَ كلِّ حَيَّةٍ علَى حدودِنا» (المقالح، 1986م: 203)

إنّ الشاعر هنا يشير إلى المقاومة والدفاع عن الوطن أمام المحتلّين ويرمز بالليل للظلم والغصب ويرمز بالحيّة للغاصبين والمحتلّين، فيدعو مواطنيه إلى الجهاد والحماية عن وطنهم وبتشبيه الغاصبين للحيّة يشير إلى الدقّة في المقاومة، لأنّ العدوّ الغاصب ينفذ إلى الوطن سريعا كما تنفذ الحيّة من أصغر الثقب، ولا يرحم على أحد.

النتيجة

1- إنّ شعر المقاومة لدى عبد العزيز المقالح يحتوي على رموز طبيعية ذات دلالات غير معجميّة كثيرة.

2- يستخدم المقالح رموز الطبيعة في شعره المقاوم لأسباب مختلفة كالخوف من السجن والاغتيال والأذى من قبل الحكام الظالمين والغاصبين من جهة ولتعميق المعنى والإحساس والمشاركة المتلقّي فيهما من جهة أخرى، علاوة على تجسيد المعاني والأحاسيس.

3- يتطرّق الشاعر بهذه الرموز إلى المقاومة وما يتعلّق بها كالاحتلال والظلم والثورة والحريّة والحقّ والباطل والشهداء والمشرّدين.

4- يوظّف الشاعر أكثر عناصر الطبيعة كالحيوانات والنباتات والليل والنهار وغيرها حيث تحمل هذه الرموز دلالات معينة وفقا لميزاتهم.

5- يرمز بالعاصفة والتمساح والحيّة إلى الغصب، وبالذئب والكلب إلى الظلم، وبالربيع والشمس إلى الحريّة، ويرمز بالزلزال والبُركان إلى الثورة، وباللون الأسود إلى الباطل، وباللون الأبيض إلى الحقّ، وبالعصفورة والحمامة إلى الشهداء والمشرّدين.

6- يفهم هذه الدلالات في السياق الشعري ونرى بأن هذه الرموز قد استطاعت أن يعطي شعره جمالا وعمقا وتأثيرا، وأغنته حيويّة وإحساسا.

7- يصون الشاعر بهذه الرموز نفسه من خطر الكبت ويؤثّر في المتلقّي ويجعل فكره وشعوره في قضية الوطن، ملموسا ومحسوسا أمام عيون المتلقّي.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- البردوني، عبدالله (1978). «رحلة في الشعر اليمني»، الطبعة الثالثة، بيروت، دار العودة.
- بلاوي، رسول ومهتدي، حسين (1436ق). «الرموز الطبيعيّة ودلالاتها في شعر يحيى السماوي»، مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 11، العدد 2.
- عجينة، محمد (1994م). «موسوعة أساطير العرب عن الجاهليّة ودلالاتها»، ج1 و2، بيروت: دار الفارابي.
- شواليه، ژان وگربران، آلن (1387ش). «معجم الرموز»، طهران، نشر جيحون.
- العمّاري، فضل بن عمّار (2012م). «الذئب في الأدب العربي»، الرياض: جامعة الملك سعود، النشر العلمي والمطابع.
- عمر، احمد مختار (1997م). «اللغة واللون»، ط 2، القاهرة: عالم الكتب.
- عمر، احمد مختار (2008م). «معجم اللغة العربية المعاصرة»، القاهرة، عالم الكتب.
- محمد حمدان، أحمد عبدالله (2008م). «دلالات الألوان في شعر نزار قباني»، رسالة ماجستير، فلسطين: جامعة النجاح الوطنيّة.
- المقالح، عبد العزيز (1986م). «ديوان المقالح»، بيروت، دار العودة.
- ممتحن، مهدي وحسيني، جواد (1390ش). «وقفة مع الأديب اليمني عبد العزيز المقالح وتحليل شعره»، فصلية دراسات الأدب المعاصر، العدد الحادي عشر، السنة الثالثة.
- الموسوعة ويكيبيديا. ar.wikipedia.org
- نشاوى، نسيب (1984م). «مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربى المعاصر»، الجزاير، ديوان المطبوعات الجامعية.